

الباب الثاني والعشرون

في ذكر بكاء أهل النار وزفيرهم

وشهيقهم وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب لهم

قال الله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] .

قال الربيع بن أنس : الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر . وقال معمر عن قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق . وقال تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧] .

١ - (٢٦) وفي حديث حارثة : « وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاونون فيها » ^(١) .

وقد سبق .

٢ - (١٧٧) وروى معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رأيت رؤيا » فذكر حديثا طويلا وفيه قال : « ثم انطلقنا فإذا نحن نرى دخانا ونسمع عواء قلت : ما هذا ؟ قال : هذه جهنم » ^(٢) . خرجه

(١) سبق برقم (٢٦) .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٨٢ / ٨ (٧٦٦٦) عن أبي أمامة الباهلي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : « إني رأيت رؤيا هي حق فاعقلوها ، أتاني رجل فأخذ بيدي فاستبغني حتى أتاني جبلا وعرا طويلا ، فقال لي : ارقه ، فقلت : إني لا أستطيع ، فقال : إني سأسهله لك ، فجعلني كلما رقيت قدمي وضعتها على درجة حتى استويينا على سواء الجبل فانطلقنا فإذا نحن برجال ونساء شقيقة أشداقهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يقولون ما لا يعلمون ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء مشمرة أعينهم وآذانهم ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يرون أعينهم ما لا يرون ويسمعون آذانهم ما لا يسمعون ، ثم انطلقنا فإذا نحن بنساء معلقات بعراقيبهن مصوبة رؤوسهن تنهش ثداهن الحيات ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يمنعون أولادهم من ألبانهم ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء معلقات بعراقيبهن مصوبة رؤوسهن يلحسن من ماء قليل وهما ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يصومون ويفطرون قبل تحلة صومهم ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء أقبح شيء منظرا وأقبحه لبوسا وأنتنه ريحا كأنما ريحهم المراحيض ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون والزناة ، ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى =

الطبراني وغيره .

٣ - (١٧٨) وروى الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يلقى البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، ولو أرسلت فيه السفن لجرت » ^(١) . خرجه ابن ماجه .

وروي عن الأعمش عن عمرو بن مرة ويزيد الرقاشي عن أنس موقوفاً من قوله ، ورواه سعيد بن سلمة عن زيد الرقاشي قال : بلغنا هذا الكلام ولم يسنده ولم يرفعه .

وروى سلام بن مسكين عن قتادة عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال : إن أهل النار ليكون الدموع في النار حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت ، ثم إنهم ليكون بالدم بعد الدموع ، ومثل ما هم فيه فلييك ^(٢) .

وقال صالح المري : بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فلا يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف ^(٣) .

وقال ابن إسحاق عن محمد بن كعب : زفروا في جهنم فزفرت النار ، وشهقوا

= أشد شئ انتفاخاً وأتته ريحاً ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء موتى الكفار ، ثم انطلقنا وإذا نحن نرى دخاناً ونسمع عواء ، قلت : ما هذا ؟ قال : هذه جهنم فدعها ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال نيام تحت ظلال الشجر ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : موتى المسلمين ، ثم انطلقنا فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهري ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذرية المؤمنين ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شئ وجهاً وأحسنه لبوساً وأطيبه ريحاً كأن وجوههم القراطيس ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون ، ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة نفر يشربون خمرًا لهم ويتغنون ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذلك زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة ، فملت قبلهم ، فقالوا : قدنا لك قدنا لك ، قال : ثم رفعت رأسي فإذا ثلاثة نفر تحت العرش ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذاك أبوك إبراهيم وموسى وعيسى وهم ينتظرونك صلى الله عليهم أجمعين . وقال الهيثمي في المجمع ٧٧ / ١ : « رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح » ا.هـ .

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ١٤٤٦ / ٢ (٤٣٢٤) . وعنده « يُرسل البكاء ... » . وفي الزوائد : « في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف » ا.هـ .

(٢) أورده أبو نعيم في الحلية ١ / ٢٦١ ، وابن أبي شيبة ١٥٦ / ١٣ (١٥٩٧٨) .

(٣) أورده أبو نعيم في الحلية ٦ / ١٦٦ .

فشهقت النار بما استحلوا من محارم الله . قال : والزفير من النفس ، والشهيق من البكاء .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ ﴾ [هود: ١٠٦] قال : صوت شديد وصوت ضعيف .

وروى مالك عن زيد بن أسلم في قوله - عز وجل : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيسٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١] قال زيد : صبروا مائة عام ثم بكوا مائة عام ثم قالوا : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيسٍ ﴾ .

٤ - (١٧٩) وروى الوليد بن مسلم عن أبي سلمة الدوسي - واسمه ثابت بن شريح - عن سالم بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو « اللهم ارزقني عينين هطاليتين ، يشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك قبل أن يكون الدمع دماً والأضراس جمرًا » ^(١) .

سالم بن عبد الله هو المحاربي وحديثه مرسل ، وظن بعضهم أنه سالم بن عبد الله ابن عمر ، وزاد بعضهم في الإسناد : عن أبيه ، ولا يصح ذلك كله .

وروى الوليد بن مسلم أيضاً عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله قال : إن داود - عليه السلام - قال : رب ارزقني عينين هطاليتين يكيان بذروف الدموع ويشفياني من خشيتك قبل أن يعود الدمع دماً والأضراس جمرًا . قال : وكان داود - عليه السلام - يعاتب في كثرة البكاء فيقول : دعوني أبكي قبل يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال اللحى ، وقبل أن يأمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ^(٢) .

(١) أخرجه أبو نعيم في : الحلية ١٩٦/٢ وقال : « رواه دحيم عن الوليد ولم يجاوز به سالماً » . هـ ، وابن المبارك في : الزهد ١٦٥/٣ (٤٨٠) .

(٢) أورده أبو نعيم في : الحلية ٨٥/٦ ، وابن المبارك في : الزهد ١٦٦/٣ (٤٨٣) ، والإمام أحمد في : الزهد ص ٨٨ .

وروى يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني قال : إن داود - عليه السلام - قال : أبكي نفسي قبل يوم البكاء ، أبكي نفسي قبل أن لا ينفع البكاء ، ثم دعا بجمر فوضع يده عليه حتى إذا ^(١) حره رفعها ، وقال : أوه لعذاب الله ، أوه ، أوه قبل أن لا ينفع أوه .

وروى ثابت البناني عن صفوان بن محرز قال : كان لداود - عليه السلام - يوم يتأوه فيه يقول : أوه أوه من عذاب الله - عز وجل - قبل أن لا ينفع أوه ، قال : فذكرها صفوان ذات يوم في مجلس فبكى حتى غلبه ، البكاء فقام ^(٢) .

وقال عبد الله بن رباح الأنصاري : سمعت كعباً يقول : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥] قال : كان إذا ذكر النار قال : أواه من النار أواه من النار ^(٣) . وعن أبي الجوزاء وعبيد بن عمير نحو ذلك .

وروى ابن أبي بإسناد له عن رباح القيسي : أنه مر بصبي يبكي فوقف عليه يسأله ما يبكيك يا بني ؟ وجعل الصبي لا يحسن يجيبه ولا يرد عليه شيئاً ، فبكى رباح ثم قال : ليس لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء وجعل يبكي .

وإسناد له آخر : أن رباحاً القيسي زار قوماً فبكى صبي لهم من الليل ، فبكى رباح لبكائه حتى أصبح ، فسئل بعد ذلك عن بكائه فقال : ذكرت ببكاء الصبي بكاء أهل النار في النار ليس لهم نصير ، ثم بكى .

(١) في نسخة الفاروق : حتى آذاه .

(٢) أورده أبو نعيم في : الحلية ٢/ ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٧٤ .

فصل

في طلب أهل النار الخروج منها

قال الله - عز وجل : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [١١] قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧] .

٥ - (١٨٠) وفي حديث الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر أهل النار قال : « فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون : ﴿ أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: ٥٠] قال : فيقولون : ادعوا مالكا ، فيقولون : ﴿ يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم

وبين إجابة مالك لهم ألف عام ، قال : « فيقولون : ادعوا ربكم فإنه ليس أحد خيراً من ربكم ، فيقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧] قال : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] قال : فعند ذلك يتسوا فيجيبهم ﴿ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] قال : فعند ذلك يتسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الحسرة والزفير والويل « ^(١) خرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً على أبي الدرداء .

وروى أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات ، يكلمون في أربع منها ، ويسكت عنهم في الخامسة فلا يكلمون ، يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: ١١] . فيرد عليهم : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا ﴾ [غافر: ١٢] . ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢] . فيرد عليهم : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ [السجدة: ١٣] إلى آخر الآيتين . ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّحِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] . فيرد عليهم : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] . ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧] . فيرد عليهم : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم

(١) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ١٠/ ٥٥ [شرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله : ليس بمرفوع . وقطبة بن عبد العزيز هو ثقة عند أهل الحديث » ١.هـ.

يقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ﴿١١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧] . فيرد عليهم : ﴿ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠] . قال : فلا يتكلمون بعد ذلك . خرجه آدم بن أبي إياس وابن أبي حاتم .

وخرج ابن أبي حاتم من رواية قتادة عن أبي أيوب العتكي عن عبد الله بن عمرو قال : نادى أهل النار : ﴿ يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فخلى عنهم أربعين عاماً ثم أجابهم ﴿ إِنَّكُمْ مَكْثُورُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ [الزخرف: ٧٧] . فقالوا : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ [المؤمنون: ١٠٧] . قال : فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم : ﴿ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٠٨] . قال : فأطبقت عليهم فيئس القوم بعد تلك الكلمة ، وإن كان إلا الزفير والشهيق ^(١) .

وعن عطاء بن السائب عن أبي الحسن عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فيتركهم ألف سنة ثم يقول : ﴿ إِنَّكُمْ مَكْثُورُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [الزخرف: ٧٧] . وخرجه البيهقي وعنده عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس ^(٢) .

وقال سنيد في تفسيره : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : نادى أهل النار خزنة جهنم أن ﴿ آدَعُوا رَبَّكُمْ تَخَفُّفَ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١٨﴾ [غافر: ٤٩] فلم يجيبوهم ما شاء الله ، ثم أجابوهم بعد حين وقالوا لهم : ﴿ فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ﴿١٩﴾ [غافر: ٥٠] ، ثم نادوا ﴿ يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا

(١) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢٥٠٩/٨ (١٤٠٤٧) ، ومصنف ابن أبي شيبة ١٥٢/١٣ (١٥٩٦٩) .

(٢) أورده البيهقي في : البعث والنشور ١١٥/٢ (٥٧٤) .

رَبُّكَ ﴿ فَيَسْكَتُ عَنْهُمْ مَالِكٌ خَازِنٌ جَهَنَّمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ أَجَابَهُمْ ﴾ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ ﴿ [الزخرف: ٧٧] ثُمَّ نَادَى الْأَشْقِيَاءَ رَبَّهُمْ ﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴿ الْآيَتِينَ [المؤمنون: ١٠٦] فَسَكَتَ عَنْهُمْ مِثْلَ مِقْدَارِ الدُّنْيَا ثُمَّ أَجَابَهُمْ بَعْدَ ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] .

٦ - (١٨١) وروى صفوان بن عمرو قال : سمعت أيفع بن عبد الكلاعي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، قال الله : يا أهل الجنة ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣] قال : نعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول لأهل النار : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فيقول : بشس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم سخطي ومعصيتي وناري امكثوا فيها خالدين مخلدين ، فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فيقول : ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيكون ذلك آخر عهدهم بكلام ربهم - عز وجل « ^(١) . خرجه أبو نعيم وقال : كذا رواه أيفع مرسلًا .

وقال أبو الزعراء عن ابن مسعود : إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحدًا غير وجوههم وألوانهم ، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول : يا رب ، فيقال : من عرف أحدًا فليخرجه ، قال : فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحدًا ، فيناديه الرجل فيقول : يا فلان أنا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، قال : فعند ذلك يقولون في النار : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] . فيقول عند ذلك : ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] . فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد .

(١) أورده أبو نعيم في : الحلية ١٣٢ / ٥ وقال : « كذا رواه أيفع مرسلًا ، وأسند أيفع عن معاوية بن أبي سفيان وغيره » ا.هـ.

وفي رواية قال ابن مسعود : ليس بعد هذه الآية خروج ﴿ أَحْسَؤْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

وذكر عبد الرزاق في تفسيره ، عن عبد الله بن عيسى ، عن زياد الخراساني أسنده إلى بعض أهل العلم قال : إذا قيل لهم : ﴿ أَحْسَؤْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ سكتوا فلا يسمع لهم فيها حس إلا كطين الطست ^(١) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٢/٢ . تحقيق د. / عبد المعطي أمين قلعجي .

فصل

أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يذبح الموت

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت ، فحينئذ يقع منهم الإياس وتعظم عليهم الحسرة والحزن .

٧ - (١٨٢) وفي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت ، ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون فيقولون : نعم . هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) [مريم: ٣٩] .

٨ - (..) وخرجه الترمذي بمعناه وزاد : « فلولوا أن الله قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحاً ، ولولا أن الله قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحاً » ^(٢) .

٩ - (١٨٣) وخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه معناه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال فيه : « إن أهل الجنة يطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، وإن أهل النار يطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذين هم فيه » ^(٣) وفي رواية الترمذي : « مستبشرين

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير (سورة مريم) ١١٨/٦ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤ (٢٨٤٩) .
« الأملح » . قيل : هو الأبيض الخالص ، وقيل : هو الذي فيه بياض وسواد ، وبياضه أكثر .

« فيشربون » : أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي أ.هـ.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب التفسير (سورة مريم) ١٤/١٢ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » أ.هـ.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ٣٠/١٠ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » أ.هـ ، وابن =

يرجون الشفاعة» .

١٠ - (..) وخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وأله وسلم بمعناه ، وفي حديثه : « فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم » ^(١) .

١١ - (..) وخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مختصرا ، وفيه : « فلو أن أحدا مات فرحًا لمات أهل الجنة ، ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار » ^(٢) .

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن مسعود من قوله نحو هذا المعنى غير مرفوع وزاد : أنه ينادي أهل الجنة وأهل النار هو الخلود أبد الآبدن ، قال : فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتًا من فرحة لماتوا ، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتًا من شهقة لماتوا ، فذلك قوله : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ﴾ [غافر: ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ^(٣) [مريم: ٣٩] .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن هشام بن حسان قال : مرّ عمر بن الخطاب بكثيب من رمل فبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت أهل النار فلو كانوا مخلدين في النار بعدد هذا الرمل كان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم ولكنه الخلود أبدًا .

وقد روي عن ابن مسعود هذا المعنى أيضا مرفوعا وموقوفا ، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

= ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ١٤٤٧/٢ (٤٣٢٧) . وفي الزوائد : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه ، وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد » ١.هـ ، والإمام أحمد في المسند ٢/٢٦١ ، ٣٦٩ .
(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ٨/١٤٢ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٤/٢١٨٩ (٢٨٥٠) .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ١٠/٣٢ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ١.هـ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٤١٠ (١٣١٣٦) .

فصل

عصاة الموحدين ينفعهم الدعاء في النار

وأما عصاة الموحدين فإنه ربما ينفعهم الدعاء في النار .

١٢ - (١٨٤) خرج الإمام أحمد من حديث أبي ظلال عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ، فيقول الله - عز وجل - لجبريل - عليه السلام : اذهب فأتني بعبدى هذا ، فيذهب جبريل فيجد أهل النار منكبين يبكون ، فيرجع إلى الله - عز وجل - فيخبره ، فيقول : اتنني به فإنه في مكان كذا وكذا ، فيجيء به ويوقفه على ربه ، فيقول له : يا عبدى ، كيف وجدت مكانك ؟ فيقول : يا رب شر مكان وشر مقبل ، فيقول : ردوا عبدى ، فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني ، فيقول : دعوا عبدى » ^(١) . أبو ظلال اسمه هلال ضعفوه ^(٢) .

١٣ - (١٨٥) خرج الترمذي من طريق رشدين بن سعد ، حدثني ابن أنعم - هو الإفريقي - عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب - عز وجل : أخرجوهما ، فلما خرجا قال لهما : لأي شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار ، قال : فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردًا وسلامًا ، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه ، فيقول له الرب - عز وجل : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ، قال : إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني ، فيقول له الرب - عز وجل : لك رجاؤك ، فيدخل جميعًا الجنة برحمة الله - عز وجل » ^(٣) قال الترمذي : إسناده هذا الحديث ضعيف .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٣٠ . وإسناده ضعيف ، لأجل أبي ظلال .

(٢) هو هلال بن ميمون أبو ظلال القسمللي صاحب أنس ، قال ابن معين والنسائي والأزدى : ضعيف . اهـ . ميزان الاعتدال ٤/ ٣١٦ (٩٢٨٠) .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة جهنم ، باب حدثنا هناد ٦٣/ ١٠ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « إسناده هذا الحديث ضعيف ؛ لأنه عن رشدين بن سعد وهو ضعيف عند أهل الحديث ، وابن نعيم ضعيف عند أهل الحديث » اهـ .

١٤ - (١٨٦) وفي صحيح مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله - عز وجل - فيلتفت أحدهم فيقول : أي رب إذ أخرجتني منها فلا تعديني ، فيها قال : فينجيه الله منها » ^(١) .

١٥ - (..) وخرجه ابن حبان في صحيحه وعنده : « فيلتفت فيقول : يا رب ما كان هذا رجائي فيك ، فيقول : ما كان رجائك ؟ قال : كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها ، فيرحمه الله فيدخله الجنة » ^(٢) .

١٦ - (١٨٧) وخرج الإمام أحمد من رواية علي بن زيد بن جدعان ، عن ابن المسيب ، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن آخر رجلين يخرجان من النار فيقول : الله - عز وجل - لأحدهما : يا ابن آدم ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ هل عملت خيراً قط ؟ هل رجوتني ؟ فيقول : لا أي رب ، فيؤمر به إلى النار فهو أشد أهل النار حسرة ، ويقول للآخر : ما أعددت لهذا اليوم ؟ هل عملت خيراً قط أو رجوتني ؟ فيقول : لا أي رب ، إلا أني كنت أرجوك ، قال : فيرفع له شجرة » وذكر الحديث في دخوله الجنة وما يعطي فيها ^(٣) .

١٧ - (١٨٨) وخرج هناد بن السري من طريق أبي هارون العبدى - وفيه ضعف شديد - عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أن رجلاً يدخلهم الله النار فيحرقهم بها حتى يكونوا فحمًا أسود ، وهم أعلى أهل النار ، فيجأرون إلى الله - عز وجل - يدعونه فيقولون : ربنا أخرجنا منها ، فاجعلنا في أصل هذا الجدار ، فإذا جعلهم في أصل الجدار رأوا أنه لا يغني عنهم شيئاً ، قالوا : ربنا اجعلنا من وراء هذا السور لا نسألك شيئاً بعده ، فيرفع لهم شجرة حتى تذهب عنهم سخنة النار أو شحنة النار » ^(٤) وذكر الحديث .

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٠ (١٩٢) .

(٢) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ٢/ ٤٠٠ (٦٣٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٧٠ ، ٧٤ . وإسناده حسن لأجل علي بن زيد .

(٤) أخرجه هناد بن السري في : الزهد ١/ ٢٣٢ (٢٠٦) . المكتبة الشاملة . الإصدار الثاني .

«كمبيوتر» . * وإسناده ضعيف لأجل أبي هارون العبدى فهو - كما في التقريب ٢/ ٤٩ (٤٦٠) - متروك ، ومنهم من كذبه أ.هـ .